مجلة أنساق للفنون والآداب والعلوم
الإنسانية
الإصدار الحادى والعشرون
المجلد (٦) العدد (٤)
٢٠٢٥ (١٤-١)

النّقد الإبداعيّ ورهاناتُه في ضوء الثّورة الرّقميّة المعاصرة

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

مجدي حاجي
أستاذ مبرّز، تونس

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١٩ نوفمبر ٢٠٢٥م

الملخّص

يتناول هذا المقال النّقدَ الإبداعيّ في ظلّ الثّورة الرّقميّة المعاصرة، مستعرضًا بإيجاز مفهومَ النّقد من جذوره النّظريّة الكلاسيكيّة إلى رهاناته المعاصرة. وهو يهدف إلى فهم كيفيّة تأثير المنصّات الرّقميّة وأدوات الذّكاء الصّناعيّ في علاقة النّصّ بالقارئ، وفي دور المؤلّف، وفي إنتاج المعرفة النّقديّة بشكل عامّ.

يسلّط هذا المقال الضّوء على تراجع النّقد الأدبيّ الكلاسيكيّ (المؤسّساتي) مقابل تنامي أشكال جديدة من النّقد على غرار "النّقد الشّعبيّ" و"النّقد الآليّ". فرغم أنّ النّقد الإبداعيّ التّقليديّ يمتلك مقوّماتٍ أساسيّةً من حيث التّوثيقُ والتّحليل الدّقيق والتّأويلُ الرّمزيُّ، فإنّه يواجه اليومَ تحدّياتٍ جديدةً فرضتها الوسائط الرّقميّة التي أعادت توزيع السّلطة بين النّاقد والجمهور وفتحت المجال أمام النّقد الشّعبيّ، فقد أضحت القراءات الجماعيّةُ والتّقييماتُ الرّقميّة مؤثّرةً في تحديد مكانة النّصوص. وتُعَدّ منصّة Goodreads نموذجًا لهذا النّوع الجديد من النّقد الذي أخذ يزاحم بقوّة النّقد الأكاديميّ ويفرض شرعيّته الخاصّة بما يمنحه للقارئ العاديّ من سلطة التّقييم والتّصنيف، وهو ما دفعنا إلى الاهتمام به بشكل خاصّ في هذا المقال.

أمّا النّقد الآليّ، فإنّه مفيدٌ في تَتَبُّعِ الأنماط، الأساليب والمعطيات الكمّيّة بسرعة ودقّة، لكنّه يظلّ في حاجة إلى الفهم البشريّ للكشف عن أبعاد النّصّ الجماليّة، الرّمزيّة، والتّاريخيّة التي تشكّل جوهر التّجربة الإبداعيّة. وقد أظهرت المقارنةُ الموجزةُ بين نقد الذّكاء الاصطناعيّ والقراءة النّقديّة البشريّة لقصيدة "لا تصالح" لأمل دنقل على سبيل المثال، أنّ أدواتِ النّقد الآليّ والوسائطَ الرّقميّةَ أوجدتْ ذائقةً جماعيّةً جديدةً تتحدّى معايير النّخبة النّقديّة التّقليديّة، لكنّ ذلك لا يلغي، ولا يُنقص من قيمة النّقد الجامعيّ الذي لا يزال يحتفظ بدوره المحوريّ في إنتاج المعرفة، شرطَ أن يتكيّفَ مع أدواتِ التّحليل الرّقميّ، ويستوعبَ المشاركة الجماهيريّةَ دون فقدان الصّرامة الأكاديميّة.

وعمومًا، يُظهر المقال أنّ النّقد الإبداعيَّ المعاصرَ أصبحَ ممارسةً متعدّدةَ المستوياتِ، تتكامل فيها القراءة الإنسانيّة، التّفاعل

الجماهيريّ الرّقميّ، والتّحليل الآليّ، بما يضمن استمراريّة دوره في فهم الأدب والثّقافة الرّقميّة. وهذا التّكامل من شأنه أن يُتيح آفاقًا مستقبليّةً واسعةً لدراسة الأدب الرّقميّ، وتحليل التّفاعل بين النّصوص، القرّاء، المؤلّفين، والخوارزميّات، وهو ما يمثّل تحدّيًا معرفيًّا وثقافيًّا جديدًا للنّقد الأدبيّ.

الكلمات المفتاحيّة: النّقد الإبداعيّ، الثّورة الرّقميّة، النّقد الشّعبيّ، النّقد الآليّ، الذّكاء الاصطناعيّ.

Abstract

This article addresses creative criticism in the context of the contemporary digital revolution, attempting to summarize the concept of criticism from its classical theoretical roots to its modern transformations. It aims to understand how digital platforms and artificial intelligence tools influence the relationship between the reader and the literary text, between the author and the act of interpretation, and more broadly, the evolution of knowledge within a digital framework.

The study sheds light on the decline of traditional academic (institutional) criticism, alongside the rise of new hybrid forms such as popular criticism, creative criticism and Al-based criticism. Despite their diverse methods and analytical procedures, these forms share a unifying premise: the integration of aesthetic perception with participatory and interpretive engagement. They collectively express the transformation of literary evaluation and reception processes within digital culture.

The Paper also explores the participatory dynamics exemplified by digital platforms such as Goodreads, as models of this new type of collective and spontaneous criticism that challenges the authority of academic critique. It presupposes a democratization of literary judgment, granting the ordinary reader an interpretive voice and evaluative power that once belonged exclusively to professional critics – a shift that motivates our particular focus in this study.

As for Al-based criticism , it is not limited to stylistic imitation or rapid textual analysis; rather, it reveals the need for a renewed human understanding capable of uncovering the symbolic, aesthetic, and narrative dimentions that constitute the essence of creative experience. Comparative approaches combining artificial intelligence and human reading practices have shown that Al tools, though capable of technical analysis, do not replace the aesthetic intuition and interpretive subtlety that define human creativity. Nevertheless, Al participates in knowledge production, particularly when integrated with digital interpretive tools, even as it

risks diminishing the rigor of academic criticism.
Generally, this article situates creative criticism within the contemporary critical landscape as a multi-level practice combining digital, popular, and analytical readings, thereby reaffirming its epistemological and cultural role in understanding literature and digital culture. Such integration opens future horizons for the study of digital literature and for analyzing the dynamic interaction between texts, readers, algorithms, and platforms – representing a renewed epistemological framework for literary criticism.
Keywords: Creative Criticism, Digital Revolution, Popular Criticism, Al-based Criticism, Artificial Intelligence.

*** تمهيد**

يُعدّ النّقد الأدبيّ الإبداعيّ من أقدم الممارسات الثّقافيّة التي سعت إلى فهم النّصوص الأدبيّة وتفسيرها، وقياس قيمتها الجماليّة والفكريّة ضمن السّياقات الاجتماعيّة والتّاريخيّة. وقد تطوّرت هذه الممارسةُ عبر التّراث العربيّ والغربيّ، متأثّرةً بالنّظريّات الجماليّة، الفلسفيّة، واللّسانيّة لتؤسّس نماذج تحليليّة متنوّعة تجمع بين التّأويل المنهجيّ والقراءة التّأمّليّة.

ومع ظهور الثّورة الرّقميّة الحديثة، شهِد النّقد الأدبيّ تحوّلاتٍ نوعيّةً فرضتها الوسائط الرّقميّة والمنصّات الإلكترونيّة وأدوات الذّكاء الاصطناعيّ. فقد أصبح النّصّ الأدبيّ متاحًا في فضاءات مفتوحةٍ ومتعدّدةِ الوسائط، وأصبح القارئ قادرًا على المشاركة الفاعلة في إنتاج المعنى عبر التّقييمات الرّقميّة والتّعليقات والتّفاعل المباشر مع النّصوص. وفي الوقت نفسِه، أوجدت أدواتُ النّقد الآليّ إمكاناتٍ جديدةً لتحليل النّصوص على نطاق واسعٍ وبسرعةٍ غير مسبوقةٍ، مع الحفاظ على معايير منهجيّة دقيقةٍ.

*** إشكاليّة البحث**

بناءً على ذلك، يطرح المقال الإشكاليّةَ الآتيةَ: كيف أثّرت الثّورة الرّقميّة في طبيعة الخطاب النّقديّ الأدبيّ؟ وما حدودُ التّحوّل بين النّقد التّقليديّ والنّقد الشّعبيّ والنّقد الآليّ؟

*** أهداف البحث**

يدرس المقال واقع النّقد الأدبيّ في ضوء التّحوّلات الرّقميّة المعاصرة. لذلك انبنى على هدف رئيس يتمثّل في تفكيك رهانات النّقد المعاصر بين ما يُتيحه الفضاء الرّقميّ من إمكانات جديدة، وما يَفرضه من تحدّيات على المعايير الأكاديميّة والشّرعيّة النّقديّة.

*** منهج البحث**

لأجل ذلك، اعتمد المقال منهجًا مزدوجًا يجمع بين التّحليل النّظريّ المتعلّق بمفاهيم النّقد والتّحوّل الرّقميّ، والتّطبيق العمليّ عبر دراسة حالات ممثّلة في تلقّي بعض الرّوايات والشّعر العربيّ في الفضاء الرّقميّ، إضافة إلى اختبار أدوات التّحليل الآليّ.

وتتوزّع محاورُه على أربعة عناصر أساسيّة: عنصر أوّل يعرّف مفهوم النّقد الإبداعيّ ويؤطّر التّحوّلات النّظريّة الخاصّة به، وعنصر ثانٍ يدرس منصّة Goodreads بوصفها نموذجًا للنّقد الشّعبي، وعنصر ثالث يُقارب خصائص النّقد الآليّ وأدوات الذّكاء الاصطناعيّ ويقارن بينها وبين النّقد البشريّ الأكاديميّ، وعنصر رابع يخلص إلى الرّهانات المعرفيّة، الأكاديميّة، الاجتماعيّة والجماليّة المترتّبة عن هذه التّحوّلات.

١– النّقد الإبداعي من الجذور النّظريّة إلى سياق الثّورة الرّقميّة

أ– تعريف النّقد الإبداعيّ وموقعه من التّراث النّقديّ العربيّ والغربيّ

يُعَدّ مفهوم النّقد الإبداعيّ واحدًا من أكثر المفاهيم إثارةً للجدل في الدّراسات الأدبيّة المعاصرة، نظرا إلى التباسه بين بعديْن متكامليْن: البعد الإجرائيّ الذي يُحيل إلى الممارسة النّقديّة المتفاعلة مع النّصوص، والبعد النّظريّ الذي يحدّد موقعَ النّقد بوصفه حقلًا معرفيًّا مستقلًّا يوازي الإبداع الأدبيّ، ولا يقلّ عنه إبداعًا. فالنّقد في هذا التّصوّر ليس مجرّد شرحٍ أو تعليق على النّصوص، بل هو ممارسة إبداعيّة ثانية تولّد دلالاتٍ جديدةً وتَفتح آفاقًا متجدّدةً للتّلقّي.

في التّراث العربيّ، نجد أنّ تصوّر النّقد هذا حاضرٌ منذ البدايات، وإن لم يُصَغْ بهذا المصطلح تحديدًا. فقد أشار قدامة بن جعفر (ت. ٣٣٧هـ.) في كتابه "نقد الشّعر" إلى أنّ وظيفة النّاقد لا تنحصر في الحُكم، بل تمتدّ إلى الكشف عن "الصّناعة الشّعريّة" وتذوّقها وإعادة بنائها معرفيًّا[١]. وبالمثل، شدّد عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" كذلك على أنّ النّقد فعلٌ إبداعيٌّ لأنّه يستنطق النّصّ من داخله، وهو ما يجعل النّاقد شريكًا في عمليّة الإبداع[٢]...

أمّا في النّقد الغربيّ، فنجد هذا التّصوّر قد طُوِّر منذ القرن العشرين، خاصّة مع بروز اتّجاهات ترى أنّ النّقد عمليّة إبداعيّة موازيةٌ. فذهب "رولان بارت" Roland Barthes مثلا إلى أنّ النّاقد لا يُفسِّر النّصّ بقدر ما يكتبُه من جديد وفق منظور "موت المؤلّف" و"ولادة القارئ" الذي يُصبح فيه النّقد كتابةً ثانيةً تُعيد إنتاج النّصّ ضمن شبكة لا نهائيّة من الدّلالات[٣]. وذهب ت. إليوت T. Eliot قبل ذلك إلى أنّ النّاقد مبدعٌ ثانٍ لأنّ النّقد في نظره "فنّ قائم بذاتِه" يحتاج إلى موهبة وخيال مثلما يحتاجهما الأدب والشّعر[٤].

فيتّضح من ذلك أنّ النّقد الإبداعيّ ليس مصطلحًا حديث العهد في جوهره، بل هو امتدادٌ لتصوّراتٍ قديمةٍ تجدّدت مع الحداثة وما بعد الحداثة. فهو نقدٌ يتجاوز وظيفة التّحليل إلى إنتاج معنى جديد على نحو يُصبح فيه النّصّ الأصليّ مجرّد نقطة انطلاق نحو أفق معرفيّ وجماليّ أرحب. وبهذا المعنى، يحتلّ النّقد الإبداعيّ موقعًا وسيطًا بين التّراثيْن العربيّ والغربيّ: فهو عند العرب جزء من البلاغة والنّظريّة

[١] - ابن جعفر، قدامة (١٩٥٣): نقد الشّعر. تح. كمال مصطفى. القاهرة: دار الكتب المصريّة، ص.٢٢.
[٢] - الجرجاني، عبد القاهر (١٩٩٢): دلائل الإعجاز. تح. محمود شاكر. القاهرة: مطبعة المدنيّ، ص.٤٥.
[3]- Barthes, Roland (1987) : Criticism and Truth, tans. by Katrine Pilcher Keuneman. Minneapolis : University of Minnesota Press, p.18.
[4]- Eliot, T. S. (1920) : The Sacred Wood : Essays on Poetry and Criticism . London : Methuen and Co. Ltd, p.14.

الأدبيّة القديمة، وعند الغربيّين ممارسة فكريّة وفنّيّة تقاربُ النّصوص بوصفها حقولًا مفتوحةً للتّأويل وإعادة الكتابة.

ب– تحوّلات النّقد في ضوء الثّورة الرّقميّة

أحدثت الثّورة الرّقميّة انقلابًا عميقًا في أنماط الإنتاج والتّلقّي الأدبيّ، ما انعكس بالضّرورة على الممارسة النّقديّة. فإذا كان النّاقد التّقليديّ في المنظور الكلاسيكيّ يحتكر سلطةَ التّفسير والتّقويم عبر المنابر الأكاديميّة أو الصّحافيّة، فإنّ وسائط الإعلام الجديدة قد ساهمت في تراجع مركزيّة النّاقد التّقليديّ وظهور فضاءات بديلة تسمح للجمهور والفاعلين الجدد بالمشاركة في إنتاج المعنى الأدبيّ. وقد بيّن سعيد يقطين في كتابه "النَّصّ المترابط ومستقبل الثّقافة العربيّة في عصر المعلومات" أنّ التّحوّل الرّقميّ لم يقتصر على النّصّ الأدبيّ بل شمل بنيات النّقد ذاتِه؛ إذ جعل النّاقد أمام نصوص "مفتوحة، متفرّعة، ولا نهائيّة"، ممّا يستدعي تجاوز الأدوات القديمة وبناء مناهج جديدة قادرة على استيعاب خصائص النّصوص الرّقميّة. ويرى أنّ النّاقد، إذا لم يُطوِّرْ أدواتِه، سيجد نفسَه على هامش الممارسة الأدبيّة المعاصرة[1].

لقد غيّرت الوسائط الرّقميّة (Goodreads، Wattpad، ChatGPT، Voyant Tools، Nagram Viewer،Google Books ...) علاقات التّلقّي، إذ أصبح التّفاعل بين المؤلّفين والقرّاء والنّقّاد يتمّ في فضاءات ديناميّة آنيّة، ما أعاد توزيع السّلطة النّقديّة بين جميع الأطراف. وهذا التّحوّل يشير إلى أنّ النّقد لم يَعُدْ خطابًا يعلو على النّصوص، بل هو ممارسة جماعيّة متشابكةٌ داخل شبكات التّواصل والمنصّات الرّقميّة. فضلا عن ذلك، فإنّ صعود الذّكاء الاصطناعيّ في السّنوات الأخيرة أضاف بُعدًا جديدًا للنّقد الإبداعيّ. فالأدوات القائمة على تقنيات التّعلّم الآليّ قادرةٌ اليوم على تحليل النّصوص واقتراح تأويلاتٍ، بل وحتّى كتابة مقالاتٍ نقديّةٍ أوّليّةٍ. ورغم ما يطرحه ذلك من إشكالات معرفيّة وأخلاقيّة حول "شرعيّة" هذا النّقد، فإنّه يؤكّد انتقال النّقد من سلطة الفرد إلى سلطة الخوارزميّة، أي من النّاقد البشريّ إلى النّاقد الآليّ.

إنّ هذه التّغيّراتِ تشير بوضوحٍ إلى أنّ النّقد لم يعدْ امتيازًا نخبويًّا يمارسه عددٌ محدودٌ من المختصّين، بل أصبح فضاءً مفتوحًا تتداخل فيه أصواتٌ متعدّدةٌ: الأكاديميّ، القارئ، الخبير التّقنيّ، والآلة ذاتُها. فقد جاء الفضاء الرّقميّ ليخلخل المعادلة القديمة التي تُشكّل فيها المجلّات الأكاديميّة والهيئات الجامعيّة ودور النّشر الكبرى الفضاء الأساسيّ الذي يُنتج الخطابات النّقديّةَ ويتمّ عبرَه تكريسُ مكانة الأدباء وتقييم الأعمال. فقد أصبح بإمكان أيّ قارئ أن يشارك في عمليّة النّقد عبر المنصّات الاجتماعيّة أو المنتديات الأدبيّة، ممّا سمح بظهور خطاب نقديّ شعبيّ Participatory Criticism يتّصف بالسّرعة والتّفاعليّة، ويعبّر عن أذواق جماعيّة أكثر من تعبيره عن سلطة النّخبة. ويشير عبد السّلام المسدّي إلى هذه الظّاهرة في كتابه "اللّسانيّات وأسسها المعرفيّة" عندما رأى أنّ هذا التّحوّل في الخطاب الأحاديّ (المؤسّسة) إلى الخطاب التّعدّدي (الفضاء الرّقميّ) يمثّل "انفجارًا ديمقراطيًّا للمعنى"، إذ لم يَعُد النّصّ حكرًا على سلطة النّاقد المحترف، بل أصبح مجالًا مفتوحًا لتأويلات القرّاء العاديّين[2]. وفي النّقد الغربيّ، تناول "هنري جنكينس" Henry Jenkins هذا التّحوّل من زاوية "ثقافة المشاركة" Participatory Culture فرأى أنّ الرّقمنة سمحت

[1] - يقطين، سعيد (٢٠٠٥): النّصّ المترابط ومستقبل الثّقافة العربيّة في عصر المعلومات. بيروت: المركز الثّقافيّ العربيّ، ص.٦٧.

[2] - المسدّي، عبد السّلام (١٩٨٥): اللّسانيّات وأسسها المعرفيّة. بيروت: دار توبقال، ص.٢١٢.

بظهور نقد جماهيريّ جديد يتقاطع فيه الأدب مع الإعلام الشّعبيّ والثّقافة الرّقميّة. ويؤكّد أنّ هذه المشاركةَ الواسعةَ لا تُلغِي سلطة المؤسّسة، لكنّها تُعيد توزيعها ضمن مشهد أكثر انفتاحًا وديناميكيّةً[1].

٢- Goodreads والنّقد الشّعبيّ: من سلطة النّاقد إلى ديمقراطيّة الذّوق

أ- تعريف المنصّة ووظيفتُها الثّقافيّة

تُعَدّ منصّة Goodreads من أكبر المنصّات العالميّة المخصّصة للقراءة والنّقد التّشاركيّ، وهي تتيح للقارئ مشاركةَ آرائهم وانطباعاتهم حول الكتب التي يقرؤونها، نشر مراجعات نصّيّة مفصّلة، ووضع تقييمات عدديّة (من نجمة إلى خمس) وتعليقات على الكتب. وتمكّن المؤلّفين من التّفاعل المباشر مع جمهورهم. هذا النّموذج جعل النّقد ممارسةً اجتماعيّة جماعيّة يتقاسمها القرّاء بمستوياتهم المختلفة، ممّا يُضْعِف احتكار "النّاقد التّقليديّ" للخطاب التّقييميّ.

تكتسي هذه الوظائف بعدًا ثقافيًّا لافتًا، إذ تحوّل المنصّةُ عمليّةَ القراءة من تجربة فرديّة معزولة إلى تجربة جماعيّة قائمة على تبادل الرّأي وتشارك الذّوق. ومن ثمّة، فإنّ Goodreads لا تقتصر على كونها أداةً لتجميع البيانات أو التّوصية بالكتب، بل هي فضاء نقديّ بديل يُعيد تعريفَ سلطة التّقييم الأدبيّ. وقد أشارت بعض البحوث إلى أهمّيّة هذه المنصّات الرّقميّة بما هي جزء من "الثّقافة الشّبكيّة" التي تُعيد تشكيلَ علاقة القرّاء بالنّصوص، إذ لم يَعُد الكِتَابُ يُستهلَك بشكل صامت، بل أصبح موضوعًا لحوارٍ جماعيّ متواصلٍ. وهذا ما يجعل لـ Goodreads وظيفةً مزدوجة: توسيع دائرة القراءة عالميّا من جهة، ودمقرطة الممارسة النّقديّة من جهة أخرى[2].

ب- آليّات المنصّة في إنتاج النّقد الشّعبيّ

يُقصد بمصطلح النّقد الشّعبيّ Popular Criticism ذلك النّوع من الممارسة النّقديّة الذي ينشأ خارج إطار المؤسّسة الأكاديميّة أو الهيئات الثّقافيّة الرّسميّة، ويقوم على مشاركة القرّاء العاديّين في تقييم النّصوص الأدبيّة وإبداء آرائهم فيها. ويتميّز هذا النّقد بخصائص بارزة أهمّها:

١- التّلقائيّة: لأنّه لا يخضع لصرامة المنهجيّات الأكاديميّة، بل ينبع مباشرة من انطباع القارئ المباشر.

٢- الجماعيّة: إذ يتأسّس على تراكم آلاف أو ملايين المراجعات، ممّا يمنحه قوّة تمثيليّة لذوق عامّ.

٣- التّشاركيّة: فهو يُتيح لكلّ قارئ أن يكون ناقدًا مُشاركًا، فيتحقّق نوعٌ من ديمقراطيّة الذّوق.

٤- الوظيفيّة العمليّة: إذ يتجاوز التّحليل النّظريّ إلى خدمة القارئ مباشرة بتقديم توصيات تساعده في الاختيار.

في هذا السّياق، تبرُز منصّة Goodreads واحدةً من أهمّ الفضاءات التي تحتضن هذا الشّكل من النّقد. فالمنصّة تعتمد على مجموعة من الآليّات التي تُنتج وتدعَم النّقد الشّعبيّ، أبرزها: -

١- **التّقييم العدديّ Rating System**: يمنح فيه كلّ قارئ الكتاب درجة من ١ إلى ٥ نجوم. هذه الآليّة البسيطة تُتيح تشكيل صورة رقميّة جماعيّة عن "جودة" الكتاب في نظر القرّاء.

[1]- Jenkins, Henry (2006) : Convergence Culture : Where Old and New Media Collide. New York : New York University Press, p.137.

[2]- Darnton, Robert (2009) : The Case for Books : Past, Present, and Future. New York : PublicAffairs, p.56.

٢- **المراجعات النّصّيّة Reviews**: هي مساحاتٌ يكتب فيها القرّاء انطباعاتهم. وقد تكون مختصرة في جملة واحدة أو ممتدّة في مقالات نقديّة صغيرة. بذلك، يتجاور النّقد السّطحيُّ مع النّقد المتعمّق داخل المنصّة.

٣- **المجموعات النّقاشيّة Groups**: التي تسمح للقرّاء بالتّحاور في الكتب وفق موضوعات محدَّدة (أدب عالمي، أدب نسويّ، روايات تاريخيّة...) ممّا يحوّل النّقد إلى عمليّة حواريّة جماعيّة.

٤- **قوائم التّوصيّات Lists/Recommendations**: يقترح فيها القرّاء أنفسهم قوائم كتب تُبنى من اختيارهم، في إعادة توزيع واضح لسلطة الاختيار الأدبيّ.

هذا الشّكل من النّقد يُعيد رسمَ العلاقة بين النّصّ والقارئ، إذ تتراجع مركزيّة النّاقد المحترف لصالح شبكة واسعة من القراء الذين يُنتِجون خطابًا تقييميًّا جماعيًّا، وهو ما يؤدّي إلى إعادة تعريف القيمة الأدبيّة نفسِها. وعليه، يمكن القول إنّ Goodreads تمثّل نموذجًا حيًّا لما يُمكن تسميتُه بـ "المؤسّسة النّقديّة البديلة" التي تنبني فيها القيمة الأدبيّة لا على سلطة النّقد الأكاديميّ وحدَه، بل على توافقات ذوقيّة جماهيريّة تنشأ من التّفاعل المستمرّ بين ملايين القرّاء.

ج- تحوّل الذّائقة من معياريّة النّخبة إلى ديمقراطيّة التّلقّي: دراسة مقارنة بين Goodreads والنّقد الأكاديميّ على نموذجيْن من الأدب العربيّ.

تقوم السّلطة النّقديّة الأكاديميّة التّقليديّة على عناصر مؤسِّسة أبرزها: المرجعيّة المعرفيّة، التّأصيل المنهجيّ والتّحكيم المؤسّسي. فالنّاقد الأكاديميّ يكتب ضمن أطر جامعيّة أو بحثيّة، ويستند إلى مناهج بحثيّة (تفكيكيّة، سيميائيّة، بنيويّة...) مع إحالات علميّة دقيقة. وهذه الخصائص تمنح الخطاب النّقديّ الأكاديميّ شرعيّةً معرفيّة ورصانةً منهجيّةً، لكنّه يظلّ محكومًا بإكراهات من قبيل: ضيق دائرة التّلقّي، بطء التّداول، وصعوبة وصولِه إلى القرّاء العاديّين.

في المقابل، يقوم الذّوق الرّقميّ الجماعيّ – كما يتجلّى في منصّة Goodreads مثلا – على مبدأ المشاركة الواسعةِ، إذ يساهم آلاف القرّاء في إنتاج خطابٍ نقديّ يعتمد على الانطباع والتّجربة الذّاتيّة أكثر ممّا يعتمد على النّظريّة. ورغم افتقاره إلى العمق المنهجيّ، فإنّ قوّته تكمن في تراكم المراجعات والتّقييمات تراكمًا كمّيًّا، ما يمنحه طابعًا ديمقراطيًّا تمثيليًّا لذوق جماعيّ. فبينما يضمن النّقد الأكاديميّ المعياريّة، يضمن الذّوق الرّقميّ الجماعيّ الانتشار والفاعليّة. وقد رأينا أن نجري مقارنة سريعةً بين النّمطيْن من النّقد للوقوف على أهمّ الفروق بينهما. واخترنا نصّيْن معروفيْن من الأدب العربيّ الحديث لإجراء هذه المقارنة: أحدُهما من الرّواية، وهو رواية "عزازيل" ليوسف زيدان، والثّاني من الشّعر، وهو ديوان "أحبّك أكثر" لنزار قبّاني. وهما نصّان حظيا برواجٍ كبيرٍ في المنصّات الرّقميّة كما في دوائر النّقد الأكاديميّ، وهو ما يسهّل علينا عمليّة المقارنة.

رواية "عزازيل" ليوسف زيدان: حازت الرّواية الصّادرة عن دار الشّروق بالقاهرة سنة ٢٠٠٨ حضورًا لافتًا على منصّة Goodreads، إذ تجاوز عدد مراجعاتها عشرين ألف مراجعة، بتقييم وسطيّ يقارب أربع نجوم من أصل خمس. وقد تركّزت المراجعات الشّعبيّة في مجملها على محاور أبرزها:-

١- التّشويق في السّرد التّاريخيّ.

٢- جرأة الرّواية في مساءلة التّراث الدّينيّ والهويّة والثّقافيّة.

٣- جماليّة اللّغة وبساطتها.

في المقابل، ركّز النّقد الأكاديميّ على بنيتها السّرديّة وعلاقتها بالمتن التّاريخيّ. على سبيل المثال، درسَ النّاقد صلاح فضل في كتابه "عين النّقد" الرّواية من منظور التّخييل التّاريخيّ محذّرًا من الخلط بين الوثيقة والتّاريخ[١]، وهو ما لم يلتفت إليه القارئ الشّعبيّ. فقد اعتنى الأكاديميّ بتحليل الأبعاد التّقنيّة والمنهجيّة، بينما انجذب القرّاء الرّقميّون إلى البعد التّجريبيّ والوجدانيّ، وأعادت Goodreads توجيه التّلقّي من جدل المنهج والوثيقة إلى التّجربة الجماليّة والجرأة الفكريّة.

"أحبّك أكثر" لنزار قبّاني: يحتلّ ديوان "أحبّك أكثر" لنزار قبّاني الصّادر ببيروت سنة ١٩٧٩ مكانةً متقدّمة على منصّة Googreads. وقد احتفت المراجعات الشّعبيّة بالبساطة العاطفيّة، المباشرة في التّعبير، والقدرة على لمس وجدان القارئ. فتراكمت مئات التّعليقات التي تصف شعر نزار قبّاني على سبيل المثال بأنّه "لغة القلب" و"المباشرة الصّادقة"...

في المقابل، ركّز النّقد الأكاديميّ – على غرار دراسة محمّد عبد المطّلب في "بلاغة البديع في شعر نزار قبّانيّ" على تقنيات الصّورة الشّعريّة، التّكرار، والانزياح اللّغويّ[٢]؛ أي إنّ النّاقد الأكاديميّ يضع النّصّ ضمن إطار نظريّ وتحليليّ محدَّد، بينما اهتمّت ذائقة القرّاء الرّقميّين بالحميميّة العاطفيّة والتّفاعل الشّخصيّ مع النّصّ.

عموما، تكشف المقارنة بين Goodreads والنّقد الأكاديميّ أنّ الذّائقة لم تَعُدْ حكرًا على النّخبة، فبينما يركّز الأكاديميّ على المفاهيم والمناهج وضبط معايير النّصوص الفنّيّة، يركّز القارئ الرّقميّ على التّجربة الفرديّة، التّفاعل اللّحظيّ والمتعة الذّاتيّة. بهذا المعنى، تحقّقت ديمقراطيّة التّلقّي التي جعلت الذّوق العامّ هو المعيار الأوّل، دون أن يُقصيَ بالضّرورة سلطةَ النّاقد الأكاديميّ، بل يضعه في حوارٍ جديد مع جمهور واسعٍ ومتنوّع.

٣- النّقد الآليّ والقراءة النّقديّة البشريّة

أ- أدوات النّقد الآليّ

يمثّل النّقد الآليّ أحد أبرز تجلّيّات التّحوّل الرّقميّ في المجال الأدبيّ، إذ أصبح الذّكاء الاصطناعيّ أداة فعّالة في تحليل النّصوص ورصد خصائصها الجماليّة واللّغويّة والموضوعيّة. ويمكن تعريف أدوات النّقد الآليّ بأنّها البرامج والخوارزميّات المعتمِدة على تقنيات معالجة اللّغة الطّبيعيّة والتّعلّم الآليّ من أجل تفكيك النّصوص واستخراج بنياتها الدّاخليّة ورصد أنماطها الدّلاليّة والأسلوبيّة. وتنتمي هذه الأدوات إلى عدّة مستويات مثل التّحليل اللّغوي الآليّ عبر برامج مثل N-grams أو أدوات Stanford NLP التي تقوم بتقطيع الجمل، تصنيف الكلمات، ورصد العلاقات النّحويّة، ممّا يمكّن الباحث من بناء صورة دقيقة عن بنية النّصّ اللّغويّة، ومثل التّحليل الأسلوبيّ، وهو فرع متخصّص في التّعرّف على أسلوب الكاتب عبر سماته الإحصائيّة (تكرار المفردات، طول الجمل، البنية الإيقاعيّة...) ونجد برنامج JStylo في دراسات إسناد النّصوص وكشف الانتحال الأدبيّ... إضافة إلى منصّات ChatGPT وغيرها القادرة على تلخيص النّصوص واقتراح تأويلات متعدّدة.

[١] - فضل، صلاح (٢٠١٢): عين النّقد. القاهرة: دار الشّروق، ص.٢١٥.

[٢] - أنظر مثلا: عبد المطّلب، محمّد (١٩٩٢): بلاغة البديع في شعر نزار قبّاني. القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ص.٨٧.

ب- نموذج تطبيقيّ: تحليل آلي لقصيدة أمل دنقل "لا تصالح"[1]

تمثّل قصيدة "لا تصالح" أحد أهمّ النّصوص الشّعريّة العربيّة الحديثة التي ارتبطت بالسّياق السّياسيّ والرّمزيّ في الآن نفسه. وهي قصيدة ذاتُ بنية خطابيّة مناسبة لتجريب أدوات النّقد الآليّ.

المستوى الدّلاليّ: اعتمادًا على تقنيات التّنقيب الموضوعاتيّ مثل LDA (Latent Dirichlet Allocation) أو التّحليل التّكراريّ، يظهر أنّ المفردة الأكثر تكرارًا هي "لا تصالح" التي تكرّرت أكثر من عشرين مرّة على مدار النّصّ، مشكّلة محورًا دلاليًّا رئيسًا يدور حوله الخطاب الشّعريّ. ويرصد التّحليل الآليّ أيضا أنّ الحقول المعجميّة المرتبطة بالمنع/النّفي والعنف الحسّي (فقء العين، اقتلاع) هي المهيمنة على النّصّ. ومن ثمّة، يخلص إلى أنّ النّصّ ذو طبيعة انفعاليّة سلبيّة (رفض/غضب).

أمّا النّقد البشريّ فيتجاوز المعنى المباشر ليؤكّد أنّ التّكرار هنا ليس مجرّد انفعال سلبيّ، بل استراتيجيّة خطابيّة تُحوّل القصيدةَ إلى مانيفستو جماعيّ يرسّخ قيم الكرامة والمقاومة. كما أنّ صورَ العنف ليست تعبيرًا عن رغبة تدميريّة، بل رمز للتّضحية في سبيل المبدأ.

المستوى الأسلوبيّ: كشف النّقد الآليّ – تحديدًا برنامج JStylo– أنّ الجمل الإنشائيّة (أمر، نهي، استفهام) تشكّل أكثر من ٧٠ بالمائة من البنية النّصّيّة، وهو ما يمنحه طابعًا شعاريًّا هتافيًّا مباشرًا. وقد تمكّن من رصد: -

١- هيمنة بنية النّهي (يُطلِق عليها البنية الأمريّة) "لا تصالح".

٢- هيمنة الجمل الشّرطيّة "أترى حين أفقأ عينيك... هل ترى؟".

٣- الإيقاع التّكراريّ الذي يشبه الهتاف الشّعاريّ.

أمّا النّقد البشريّ فقد يقرأ هذا التّوظيف في إطار بلاغة المفارقة، إذ يتحوّل الشّكل الإنشائيّ إلى آليّة تحريض سياسيّ وأخلاقيّ، تتجاوز جماليّات اللّغة لتصبحَ خطابًا مؤسِّسًا لوعي جمعيّ.

المستوى السّياقيّ: لا يستطيع النّقد الآليّ بحدوده التّقنيّة ربطَ النّصّ بالظّرف السّياسيّ العربيّ بعد هزيمة ١٩٦٧، ولا باستدعاء الأساطير (مثل أسطورة كليب وجسّاس) التي تشكّل خلفيّة رمزيّة للقصيدة. في المقابل، يرى النّقد البشريّ أنّ القصيدةَ تُعيد بوضوح إنتاج الموروث الأسطوريّ (مقتل كليب ورفض الصّلح مع جسّاس مثلا) لتؤسّس لموقفٍ سياسيّ معاصرٍ يرفض الاستسلام، وهو ما يجعلها نصًّا مركزيًّا في الذّاكرة الشّعريّة العربيّة الحديثة.

الوظيفة الجماليّة الرّمزيّة: يظلّ النّقد الآليّ مقصورًا على قياس التّكرار وتوزيع الألفاظ إحصائيًّا. بينما يستطيع النّقد البشريّ أن يقرأ خلف الصّور العنيفة خطابًا أخلاقيًّا يستبطن أنّ التّنازل عن الحقّ يعني فقدان البصر والبصيرة معًا؛ أي إنّ الجوهرة (العين الصّناعيّة) لا تعوّض العينَ الطّبيعيّة، كما أنّ المال لا يعوّض الكرامة.

إجمالًا، يكشف النّقد الآليّ عن بنية النّصوص الكمّيّة والإحصائيّة، ممّا يوفّر معطياتٍ موضوعيّةً دقيقةً. أمّا النّقد البشريّ فيفكّك الأبعادَ الرّمزيّةَ والتّاريخيّةَ، ويُعيد النّصّ إلى شبكة من المرجعيّات الثّقافيّة والاجتماعيّة. وبينهما تنشأ علاقة تكامليّة؛ فالنّقد الآليّ يَمُدّ النّاقدَ بالبيانات، بينما يمنح النّقد البشريّ لهذه البيانات معنىً وقيمةً تأويليّةً. وبذلك يمكن أن نستخلص أنّ النّقد الآليّ والمعالجة الرّقميّة لا يُلغيان الحاجة إلى القراءة البشريّة، بل يدفعانها إلى مستوى جديد من التّأويل

[1] - دنقل، أمل (١٩٧٠): ديوان "لن". بيروت: دار العودة.

يصبح فيه النّاقد وسيطًا بين الخطاب والبيانات الآليّة الرّقميّة. وعمومًا، يوفّر الذّكاء الاصطناعيّ أدواتٍ جديدةً للمعالجة، بينما يحافظ النّاقد على دوره المركزيّ في الفهم والتّأويل.

ورغم هذه الحدود، يبشّر النّقد الآليّ بفتح آفاق جديدة مهمّة للنّقد الأدبيّ مثل تحليل بيئات النّصوص الضّخمة والتّعامل مع آلاف الرّوايات والقصائد في زمن قصير، كشف الأنماط الأسلوبيّة المخفيّة على غرار تتبّع التّغيّر في القواميس الشّعريّة لشاعر ما عبر مراحل إنتاجه أو مقارنة أسلوب الكاتب بغيره بدقّة إحصائيّة عالية، وتعزيز النّقد المقارن... وهو ما يدفعنا إلى النّظر في أهمّ رهانات النّقد الآليّ المستقبليّة التي يمكن أن يكون لها أثر مهمّ في تطوّر العمليّة النّقديّة.

٤– رهانات النّقد الإبداعيّ في ضوء الثّورة الرّقميّة الحديثة

يشهد الواقع الرّقميّ اليوم تطوّرًا متسارعًا بفضل ما يعرَف بـ "ثورة الذّكاء الاصطناعيّ" التي ما تنفكّ تُنتج وتطوّر كلّ يوم برمجيّات جديدة من شأنها أن تزاحم الإنسان في الكثير من أدوراه التّقليديّة. وهو ما يضعنا أمام تحدّيات ورهانات عديدة، نقتصر منها على ما يلي:

أ– رهانات معرفيّة

١– إعادة تعريف المؤلّف: لم يَعُد المؤلّف اليوم بالضّرورة شخصيّةً فرديّةً ذاتَ اسم محدَّدٍ، بل قد يكون هويّة افتراضيّة أو مجموعة جماعيّة أو حتّى خوارزميّة ذكيّة تُنتِج نصوصًا كما هي الحال في النّصوص الأدبيّة المولَّدة بالذّكاء الاصطناعيّ. هذا التّحوّل قد يُثير إشكالاتٍ نقديّةً حول ملكيّة النّصوص وشرعيّة الإبداع؛ فهل النّصّ الذي تُنتجه الخوارزميّة يُنسَب إلى المبرمِج، أم إلى القارئ الذي يوجّهه، أم إلى الآلة نفسِها؟

٢– إعادة تعريف النّصّ والقراءة: لم يَعُدْ النّصّ الأدبيّ اليومَ حكرًا على الشّكل الورقيّ أو المطبوع، بل أصبح فضاءً مفتوحًا متعدّدَ الأوساط (Hypertext) يجمع بين النّصّ، الصّورة، الصّوت والفيديو. وهذا التّحوّل يجعل القراءة النّقديّة أيضًا مطالَبةً بتبنّي أدواتٍ معرفيّةٍ جديدةٍ قادرةٍ على تحليل النّصوص الرّقميّة بوصفها أجناسًا هجينةً، ما يفرض على النّقد الانفتاح على نظريّات الإعلام والدّراسات الثّقافيّة.

في الوقت نفسِه، في الفضاء الرّقميّ لم يَعُد القارئ متلقّيًا سلبيًّا للنّصّ، بل أصبح شريكًا في إنتاج المعنى، عبر التّعليقات، التّقييمات، إعادة النّشر، أو حتّى إعادة كتابة النّصوص عبر وسائط مختلفة (مثل الاقتباس الرّقميّ...). وبذلك ننتقل من القارئ الرّقميّ إلى ما سمّاه "هنري جنكيس" "ثقافة المشاركة" – كما أشرنا إلى ذلك سابقًا – حيث يصبح الجمهور طرفًا في إنتاج المعنى وتداوله.

٣– إعادة توزيع السّلطة: تقليديًّا، كان النّاقد الأكاديميّ يحتكر سلطة إنتاج المعرفة الأدبيّة. أمّا اليوم، فإنّ المنصّاتِ الرّقميّةَ والبرمجيّاتِ الآليّةَ تشارك في إنتاج أشكال جديدةٍ من المعرفة النّقديّة. وهذا التّحوّل يشكّل رهانًا معرفيًّا يتمثّل في ضرورة بناء تكامل منهجيّ بين النّقد الأكاديميّ والنّقد الشّعبيّ والنّقد الآليّ، لتجاوز الانقسام الحادّ بين النُّخَب والجماهير أو بين البشر والآلة.

٤– النّقد بوصفه حقلًا متعدّد الاختصاصات: لم يَعُد النّقد الأدبيّ قادرًا على الاستمرار ضمن حدوده التّقليديّة. فاليوم، يحتاج النّاقد إلى الإلمام بعلوم الحاسوب، الإحصاء، السّيميائيّات الرّقميّة، علم الاجتماع الثّقافيّ... وهذا الانفتاح على التّخصّصات الأخرى يمثّل رهانًا معرفيًّا أساسيًّا لضمان

قدرة النّقد على التّكيّف مع التّحوّلات الجذريّة التي فرضتها الثّورة الرّقميّة.

إجمالًا، تطرح إعادةُ تعريف المؤلّف والقارئ في الفضاء الرّقميّ رهانًا نقديًّا يتمثّل في بناء نظريّة جديدة في العلاقة بين الإبداع والتّلقّي، تستوعب حضورَ الإنسان والآلة، الفرد والجماعة، الأصل والنّسخة. وهذا يعني أنّ النّقد المعاصرَ مدعوٌّ إلى تجاوز ثنائيّة "موت المؤلّف" و"عودة القارئ" نحو تصوّر أكثر تركيبًا يقوم على ديناميّة التّفاعل وتوزّع السّلطة الأدبيّة شبكيًّا.

ب– رهانات أكاديميّة

يشهد النّقد الأدبيّ المعاصر تحدّيًا أكاديميًّا مزدوجًا، إذ يتقاطع النّقد التّقليديّ الجامعيّ مع ظواهر جديدة فرضتها الثّورة الرّقميّة هي: ظهور النّقد الشّعبيّ عبر المنصّات الرّقميّة، واعتماد النّقد الآليّ على أدوات الذّكاء الاصطناعيّ. هذه الظّواهر تثير أسئلة مركزيّةً حول مستقبل النّقد الأكاديميّ ودوره في إنتاج المعرفة الأدبيّة. ومنها: –

١– تباين معايير النّقد بين النّقد الشّعبيّ القائم على التّجربة الفرديّة وسرعة التّفاعل، والنّقد الأكاديميّ القائم على معايير صارمة مثل التّوثيق، التّحليل المنهجيّ والعمق التّأويليّ، ومن شأن ذلك أن يولّد صراعًا على الشّرعيّة الثّقافيّة: هل تبقى سلطة الجامعات والمجلّات الأكاديميّة هي مرجعَ الجودة الأدبيّة الأوحدَ أم إنّ قوّة الجماهير بدأت تُعيد تعريف هذه الجودة؟

٢– المزايا المتقدّمة التي يوفّرها الذّكاء الاصطناعيّ (سرعة التّحليل، تتبّع الأنماط الأسلوبيّة...) من شأنها أن تضع الجامعات أمام رهاناتٍ منهجيّةٍ من قبيل: كيف يمكن دمجُ نتائج التّحليل الآليّ في المناهج الدّراسيّة والأبحاث دون أن يفقد النَّصُّ عمقَه؟

فلا يخفى أنّ تبنّي النّقد الجامعيّ الأدواتِ الرّقميّةَ وإدماجَها في البحث الأكاديميّ بإمكانه أن يُحقّق تكاملًا بين العمق التّحليليّ والانتشار الرّقميّ مستفيدًا من قوّة البيانات الضّخمة والتّحليلات الإحصائيّة. فضلا عن ذلك، يمكن تطوير مناهج جديدة تشمل دراسة الأدب الرّقميّ، النّقد التّفاعليّ، التّحليل الآليّ، وقراءة الجماهير الرّقميّة، إلى جانب تكوين جيل جديد من النّقّاد الجامعيّين قادر على التّعامل من النّقد الشّعبيّ والآليّ، مع الحفاظ على مقوّمات النّقد التّقليديّ من دقّة وإحالة واعتماد على السّياقات الثّقافيّة والتّاريخيّة.

ج– رهانات اجتماعيّة وثقافيّة

أحدثت الثّورة الرّقميّة تحوّلاتٍ اجتماعيّةً وثقافيّةً عميقةً في مجال الأدب والنّقد. فقد ظهر ما يمكن تسميتُه بـ "الذّائقة الجماعيّة الرّقميّة"، وهي ذائقة تتشكّل عبر المنصّات التّفاعليّة ومواقع التّواصل الاجتماعيّ، حيث تُقاس قيمة الأعمال الأدبيّة بعدد القراءات والتّقييمات والمراجعات الشّعبيّة أكثر ممّا تُقاس بآراء النّقّاد المتخصّصين. وهذه الذّائقة لا تنبني على معايير النّقد الأكاديميّة بقدر ما تقوم على التّأثير المباشر في القارئ، وعلى معايير مثل سهولة اللّغة، سرعة الإيقاع، ومدى التّوافق مع اهتمامات الجيل الجديد. فقد جعلت هذه الوسائل الجمهور لاعبًا رئيسًا في تحديد مكانة النّصوص، وشكّلت ذائقة جديدةً أكثر شعبيّة وديمقراطيّةً، لكنّها في الوقت نفسه أكثر تقلّبًا وسرعةً في التّغيّر.

يقود ذلك إلى الحديث عمّا يمكن أن نسمّيَه "صراعًا بين النّخبة والجمهور". فالنّقد الأكاديميّ التّقليديّ يَنظر بحذرٍ، بل بازدراء أحيانًا، إلى هذه الذّائقة الرّقميّة التي يرى فيها فقدانًا للصّرامة والمشروعيّة. وفي المقابل، يرى الجمهور أنّ هذه النّخبويّة النّقديّةَ معزولةٌ عن الواقع القرائيّ

الفعليّ، وأنّ سلطة التّقييم لم تَعُدْ حكرًا على الجامعات أو المجلّات المتخصّصة. وهذا الصّراعُ يُعبّر عن تحوّل أعمقَ في الثّقافة المعاصرة: من ثقافة النّخبة التي كانت تحدّد "ما هو أدبيّ" و"ما هو جميل"، إلى ثقافة الجماهير التي تحتكم إلى منطق السّوق الرّقميّ وعدد المتابعين، وهو ما يمثّل تحدّيًا لافتًا للسّلطة النّقديّة التّقليديّة. فاليومَ يمكن لرواية شعبيّة أو ديوان إلكترونيّ أن يُحقّق انتشارًا عالميًّا بفضل التّوصيات الرّقميّة، في حين قد يبقى عمل أكاديميّ رفيعُ المستوى محصورًا داخل دائرة ضيّقة. وهذا يعيدُ تشكيلَ خريطة السّلطة الثّقافيّة؛ فالنّاقد الأكاديميّ لم يُعُدْ المرجعَ الوحيدَ، بل أصبحَ جزءًا من شبكةٍ أوسعَ تضُمّ القارئ العاديّ، المنصّاتِ الرّقميّةَ، والخوارزميّات التي تتحكّم في ترتيب الأعمال وإبرازها. من هنا، يبدو أنّ الرّهان الاجتماعيّ والثّقافيّ الأكبر يتمثّل في إيجاد توازنٍ بين هذه الذّائقة الجماعيّة الجديدة التي تُعبّر عن حاجات القراءة المعاصرة، والحفاظ على المعايير النّقديّة التي تصون العمقَ والجودةَ. فالنّقد مدعوٌّ إلى دراسة الظّاهرة بوصفها مؤشّرًا على تحوّلات المجتمع نفسِه، حيث تتداخل قيمُ الدّيمقراطيّة والمشاركة مع منطق السّوق الرّقميّ والسّلطة الخوارزميّة.

د– رهانات جماليّة: كيف تتغيّر علاقة القارئ بالنّصّ عبر الوسيط الرّقميّ؟

لم يُغيّرْ الوسيطُ الرّقميّ أدواتِ القراءة والكتابة فقط، بل أعاد أيضًا تشكيل بنيةِ النّصّ الجماليّةِ وعلاقة القارئ به. فإذا كانت جماليّةُ النّصّ الكلاسيكيّ مثلا تقوم على ثبات الشّكل وتتابع السّرد أو انتظام الوزن الشّعريّ، فإنّ النّصّ الرّقميَّ يُقدّم تجربةً جماليّةً جديدةً قائمةً على التّشعّب والانفتاح والتّفاعليّة. فمن ناحية، لم يَعُدْ النّصّ الرّقميّ يُقرأ من البداية إلى النّهاية وفق تسلسل خطّيّ، بل عبر روابط متعدّدةٍ تُتيح للقارئ أن يبنيَ مسارَه الخاصَّ في القراءة. وهذا التّحوّل من شأنه أن يُغيّر بنية النّصّ الجماليّة؛ فالعمل الفنّيّ لم يَعُدْ كيانًا مكتمِلًا، بل أصبحَ شبكةً مفتوحةً تحتمل قراءاتٍ لا نهائيّةً. ومن ناحية ثانية، يُتيح الوسيط الرّقميّ للقارئ التّفاعلَ المباشر مع النّصّ عبر التّعليق، التّصويت، المشاركة، أو إعادة صياغة العمل (كما في الأدب التّفاعليّ). وهذه التّفاعليّة تُضيف بُعدًا جماليًّا جديدًا يصبحُ فيه الأثر الأدبيّ لا فقط ما كتبه المؤلّف، بل أيضًا مجملَ التّفاعلات القرائيّة التي تولّده وتُعيد تشكيلَه. ومن ناحية ثالثة، يمكن للنّصّ الرّقميّ أن يُدمج الصّورة، الفيديو، الصّوت، المؤثّرات البصريّة إلى جانب الكلمة المكتوبة، وهذا التّداخل بين الوسائط يولّد ما يسَمَّى "الجماليّاتِ المتعدّدةَ الحواسّ" Multisensory التي توسّع من تجربة القارئ الجماليّة، لكنّها في الوقت نفسِه قد تهدّد "نقاء" الأدبيّة التي يعرفها النّقد التّقليديّ. وعمومًا نرى أنّ هذه الخصائص الجديدة تفتح الأبواب نحو أفق دراسي نقديّ أرحب حول ما يمكن أن نسميَّه "الجماليّاتِ الرّقميّةَ في الأدب المعاصر" في إطار بحث مستقبليّ مستقلّ أكثر عمقًا ودقّةً. فرهان النّقد المعاصر الجماليّ إذًا يتمثّل في القدرة على توصيف هذه التّجربة الجديدة الخاصّة بالقراءة الرّقميّة والنّظر إن كانت إثراءً للمتخيّل الأدبيّ أم تفكيكًا لجوهر النّصّ. وختامًا، يمكن القول إنّ النَّصّ الأدبيّ لم يَعُدْ مجرّد أثر مغلَق على ذاتِه، بل غدا فضاء جماليًّا متحوّلًا ومتجدّدًا باستمرار عبر الوسيط الرّقميّ وعبر المشاركة القرائيّة. وهو ما يساهم في توسيع الأدب إبداعًا – وربّما نقدًا في المستقبل – باتّجاه أشكال وتقنياتٍ جديدةٍ وطريفةٍ لا يمكن إنكارُها.

*** خاتمة**

لقد أظهر هذا المقال أنّ النّقد الإبداعيَّ اليومَ لم يَعُدْ ممارسةً جامدةً ضمن إطار نظريّ تقليديّ، بل أصبحَ حقلًا ديناميكيًّا يتفاعل مع الثّورة الرّقميّة الحديثة والمعاصرة. فانطلاقًا من دراسة تطوّر النّقد من مفهومه الكلاسيكيّ إلى رهاناته الحديثة في السّياق الرّقميّ، تبيّن أنّ العلاقة بين النّصّ والقارئ، وبين المؤلّف والنّقد، قد شهدت — وتشهد — تحوّلاتٍ عميقةً. فالنّصوص الرّقميّة والوسائط التّفاعليّة وفّرت إمكاناتٍ جديدةً للتّلقّي، وأعادت تعريف الجماليّة، بينما أتاح النّقد الآليّ أدواتٍ تحليليّةً دقيقةً وفعّالةً، لكنّه لا يزال محدودًا أمام العمق التّأويليّ.

وقد أبرزت الدّراسة أنّ النّقد الشّعبيّ عبر المنصّات الرّقميّة قد أوجد ذائقةً جماعيّةً جديدةً، تُقلّل من مركزيّة النّاقد الأكاديميّ التّقليديّ، وتُعيد توزيع السّلطة الثّقافيّة بين النّخبة والجمهور، ما يطرح تحدّياتٍ معرفيّةً، اجتماعيّةً وثقافيّةً مهمّةً. في المقابل، يظلّ النّقد الجامعيّ مطالَبًا بالتّكيّف مع هذه التّحوّلات والاستفادة من أدوات التّحليل الآليّ والمعرفة البشريّة، بما يضمن استمرار دوره في إنتاج المعرفة الأدبيّة.

من هنا، يمكن القول إنّ الثّورة الرّقميّة لم تُلغِ سلطةَ النّقد التّقليديّ، لكنّها فرضت عليه إعادة تعريف أدواته ومناهجه، وجعلت العلاقة بين المؤلّف والنّصّ والقارئ أكثر تشابكًا وتفاعليّةً. ويظلّ الرّهان الأكبر للنّقد الإبداعيّ المعاصر هو القدرة على تحقيق التّكامل بين القراءة البشريّة العميقة، الذّائقة الجماعيّة، والتّحليل الآليّ، بما يُتيح للمعرفة النّقديّة أن تظلّ حيّةً وملائمةً للتّغيّرات الاجتماعيّة والثّقافيّة والتّكنلوجيّة. وبذلك، يفتح المقال أفقًا للبحث المستقبليّ حول تطوّر النّقد في مواجهة التّحوّلات الرّقميّة ودراسة التّفاعل بين البشر والآلات، وبين النّصوص التّقليديّة والرّقميّة، بوصفها مسألة مركزيّةً في فهم الثّقافة الأدبيّة المعاصرة.

*** التّوصيات**

١- الدّعوة إلى الاستفادة من برامج الذّكاء الاصطناعيّ والوسائط الرّقميّة الحديثة وإدماجها في عمليّة النّقد الأدبيّ التّقليديّ (الدّمج بين النّقد الآليّ والنّقد البشريّ) لما تُتيحُه من إمكانات كبيرة في مقاربة الإبداعات الأدبيّة خاصّة في مجال الإحصاء الأسلوبيّ والوقوف على خصائص النّصوص الجماليّة وبنياتها الدّاخليّة وأنماطها الدّلاليّة، ولما تضْمنه من مواكبة التّطوّرات الرّقميّة الحاصلة في الميدان إضافة إلى ما توفّره من الجهد والوقت.

٢- لفت انتباه الباحثين والنّقّاد والمهتمّين إلى الأدب الرّقميّ الذي ما انفكّ يحتلّ مكانة متزايدة في المشهد الثّقافيّ المعاصر، وهو مرشّحٌ لأن يحتلّ في المستقبل القريب واجهة المشهد الإبداعيّ. وهو مجال بكرٌ مازال في حاجة إلى أدوات جديدة مناسبة لمقاربته وتأسيسه تأسيسًا نظريًا محكمًا. ونحن على اعتقاد مبدئيّ بأنّنا اليوم في حاجة إلى نظريّة جديدة خاصّة بالأدب الرّقميّ تختلف عن النّظريّات الأدبيّة الكلاسيكيّة وتواكب التّطوّرات الحاصلة في المفاهيم (مفاهيم الأديب/ المؤلّف، القارئ، النّصّ، التّلقّي... والعلاقات بينها) والأدوات النّقديّة. وهو موضوع فسيح يتّسع لبحوث معمّقة ومركّزة في هذا المجال.

٣- لفت أنظار المبدعين عمومًا إلى الأجناس الأدبيّة الجديدة التي فرضتها الثّقافة الرّقميّة المعاصرة على غرار الأدب متعدّد الوسائط Hypertext Literature الذي يجمع بين النّصّ، الصّورة، الصّوت والفيديو، الرّواية التّفاعليّة Interactive Novel، الشّعر الإلكترونيّ E-

poetry، السّرد الشّخصيّ الرّقميّ Digital Autobiography.

*** المراجع**

اولاً– المراجع العربيّة

الجرجاني، عبد القاهر (١٩٩٢): دلائل الإعجاز. تح. محمود شاكر. القاهرة: مطبعة المدنيّ.

ابن جعفر، قدامة (١٩٥٣): نقد الشّعر. تح. كمال مصطفى. القاهرة: دار الكتب المصريّة.

دنقل، أمل (١٩٧٠): ديوان "لن". بيروت: دار العودة.

فضل، صلاح (٢٠١٢): عين النّقد. القاهرة: دار الشّروق.

المسدّي، عبد السّلام (١٩٨٥): اللّسانيّات وأسسها المعرفيّة. بيروت: دار توبقال.

عبد المطّلب، محمّد (١٩٩٢): بلاغة البديع في شعر نزار قبّاني. القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.

يقطين، سعيد (٢٠٠٥): النّصّ المترابط ومستقبل الثّقافة العربيّة في عصر المعلومات. بيروت: المركز الثّقافيّ العربيّ.

ثانياً– المراجع الأجنبيّة

Barthes, Roland (1987): Criticism and Truth, tans. Katrine Pilcher Keuneman. Minneapolis: University of Minnesota Press.

Darnton, Robert (2009): The Case for Books: Past, Present, and Future. New York: PublicAffairs.

Eliot, T. S. (1920): The Sacred Wood: Essays on Poetry and Criticism. London: Methuen and Co. Ltd.

Jenkins, Henry (2006): Convergence Culture: Where Old and New Media Collide. New York: New York University Press.